

تعليمية التعبير الكتابي ومراحل إكسابه للمتعلم

مقارنة بين رأي ابن خلدون وطريقة "تحدّث لتكتب" (Talk for writing)

د. بلاهدة فريدة

مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية - الجزائر / الجزائر

belahdafarida@gmail.com

تاريخ التسلم: 2019/04/10 تاريخ القبول: 2020/02/16

الملخص:

يعد التعبير الكتابي نشاطا تعليميا، يوظف فيه التلميذ مجموعة من العمليات الذهنية وغير الذهنية؛ حيث يواجه وضعيات تواصلية محتملة تجعله يشحذ مهاراته المكتسبة وينهل من معارفه الفعلية لمواجهة الوضعيات المشكّلة.

ومن هذا المنطلق لم تعد اللغة المكتوبة مجرد وضع لجمال منعزلة، بقدر ما صارت استعمالا لمجموعة من الآليات التي تخضع لأغراض تبليغية معينة في سياقات مختلفة. تسمح للتلميذ بالتعبير عن مختلف الوضعيات ضمن رسالة تبليغية محددة. وفي هذا المقال سنحاول تحديد ماهية التعبير الكتابي وأهم أهدافه مع عقد مقارنة بين ما جاء به ابن خلدون وطريقة "تحدّث لتكتب" ("Talk for writing") لصاحبها باي كوربت (Pie Corbett) حول مراحل اكتسابه.

الكلمات المفتاحية: تعبير كتابي - ابن خلدون - تعليمية - مهارة - "تحدّث لتكتب".

Didactic of written expression and stages of its learning:

A comparison between Ibn Khaldoun's opinion and the method "Talk for writing"

Abstract:

Written expression is a didactic activity, in which the pupil uses a group of mental and non-mental processes, where he faces situations of communication. The pupil then uses his skills and real knowledge to deal with problematic situations. In this sense, the written language is no longer just putting isolated sentences ; it is a use of mechanisms that are subject to the different contexts that allow pupils to express their sent messages. In this article, we will try to determine what is the written expression and what are its most important goals with a comparison between what says Ibn Khaldun and the method "talk for writing" of Pie Corbett about the steps of the acquisition of written expression.

Keywords: Written expression - Ibn Khaldoun - didactic - competence - "Talk for writing".

مقدمة:

ما فئ امتلاك ناصية اللغة العربية واستيعاب أدواتها يمثل الشرط الأساس في تحقيق العملية التعليمية والعنصر الفعال الذي تناط به الجهود المنصبة حولها لما تكتسيه اللغة من الأثر البالغ في التحصيل الدراسي وتنمية الفكر لدى التلاميذ لا سيما وأنها تنظم على رأس العوامل التي يتحقق بها النمو الاجتماعي ويضمن امتلاك أدواتها اكتساب الخبرات الثقافية .

ولهذا المسوغ العلمي القوي أولى المهتمون بالبحث والدارسون لتعليم اللغة العربية العناية اللاتقة بها، وبحثوا الكيفيات التي تختصر الجهود نحو الآليات الواجب معرفتها في هذه اللغة، وتذليل العقبات التي ما تزال تقف عائقا دون التحصيل العلمي الوافر .

خاصة في المراحل الأولى من التعليم، وأقصد المرحلتين الابتدائية والمتوسطة كونهما تمثلان حجر الزاوية في اكتساب الكثير من المهارات اللغوية؛ ولأن الأهداف العلمية المرجوة من هاتين المرحلتين لا تعدو أن تكون تحصيل التلاميذ للملكات اللغوية الأساسية وإن كانت جزئية وسطحية.

لكن المعن البحث والنظر في واقع تدريس اللغة العربية يرى غير ذلك، ويلمس تراجعاً في مستوى اللغة العربية عند المعلمين ومريديهم على حد سواء أفضى إلى تقهقر في الأداء وتفش للأخطاء على محركاتهم الكتابية فضلا عن أدائهم الشفاهي ما يستدعي الوقوف على خطورة الوضع والنظر في الأسباب الحقيقية لهذه الظاهرة التي تبدأ أساساً في المدرسة، وعليه فإن الضرورة العلمية تفرض علينا تغيير الوضع التعليمي عن طريق بنائه على أسس علمية انطلاقاً من المادة اللغوية التي تلقن للتلاميذ، وصولاً إلى الأساليب والطرائق المتبعة في ذلك.

وإذا سلمنا بأن النحو هو أهم العلوم اللغوية التي يتأسس عليها حسن الاستعمال مشافهة وكتابة؛ ف" النحو لا يملك الوسيلة إلى خلق الكاتب الجيد، كما أنه لا يخلق قواعد الكلام، ولكنه يكشفها ويصوغها ويشرحها، ومن الأمور المتفق عليها أن السلامة اللغوية هي الصفة الضرورية الأولى لكل ما يكتب(السيد، 1983، ص42/41). وقد تم الاختصار في هذه الدراسة على الشق الكتابي؛ لأن التعبير الكتابي مقياس دقيق لمستوى اللغة الحقيقي لدى التلاميذ؛ ومعرفة مدى نجاح التربويين في تحقيق الهدف من العملية التعليمية بالأساس وهو إكساب المتعلم هذه المهارة التي تتجلى أهميتها في إبراز الجانب الإبداعي لدى التلاميذ سواء في كتابة رسائل أو مقالات أو مذكرات، ومنه يمكن القول إن التعبير هو ثمرة الدرس اللغوي؛ لأنه يمثل الحصيلة الختامية لتعليم اللغة، يقول ابن خلدون:" الكتابة تطلع على ما في الضمائر وتتأدى بها الأغراض"(ابن خلدون، 2001 ص454).

وفي هذا المقال سنحاول التعريف بالمراحل الأربع لاكتساب التعبير الكتابي، والتي اتفق عليها كل من ابن خلدون وبني كوربت رغم البون الزمني بينهما. وهي مراحل تعتمد بالدرجة الأولى على المتعلم من خلال تحفيزه على القراءة والحفظ، وتمثل هذه الطريقة الآلية العملية التي يمكن اعتمادها في المدرسة بعدما أثبتت نجاعتها في الولايات المتحدة الأمريكية، لكن يجدر التنويه إلى أن هذه المراحل المعتمدة في إكساب المتعلم فن التعبير الكتابي قد اعتمدها ابن خلدون قبل مئات السنوات فكان له قصب السبق في إرساء هذه القواعد للوصول بالمتعلم إلى إنتاج نصوص ذات جودة عالية.

1- ماهية التعبير الكتابي وأهميته:

يعد التعبير الكتابي من أهم وسائل التواصل البشري كونه الوسيلة التي يتم عن طريقها الاطلاع على أفكار الآخرين، وبهنا متعة التجول في عقولهم حتى بعد غيابهم، كما أنه يسمح بتسجيل كل مكونات النفس البشرية فتترجم إلى كلمات هي نتاج الفكر البشري.

يعرفه اللقاني بأنه: "ترجمة للأفكار والمشاعر الكامنة بداخل الفرد كتابة بطريقة منظمة ومنطقية، مصحوبة بالأدلة والبراهين، التي تؤيد أفكاره وأدائه تجاه موضوع معين أو مشكلة معينة" (اللقاني، 1999، ص 84)، حيث يحتاج هذا النشاط إلى قدر من الدربة والمران يقول البجة في هذا الصدد التعبير هو: "إقدار التلاميذ على الكتابة المترجمة لأفكارهم بعبارة سليمة تخلو من الأخطاء بقدر يتلاءم مع قدراتهم اللغوية، ومن ثم تدريبهم على الكتابة بأسلوب على قدر من الجمال الفني المناسب لهم، وتعويدهم على اختيار الألفاظ الملائمة، وجمع الأفكار وتبويبها، وتسلسلها، وربطها" (البجة، 1999، ص 313).

وتلج المبادئ الحديثة في تعليم اللغات على ضرورة اكتساب مهارة الاستماع لأنها تؤثر لا محالة في عملية التواصل والفهم الجيد، فالسمع أبو الملكات اللسانية كما يقول ابن خلدون (ابن خلدون، 2001، ص 624)، لأنه يؤثر في المهارات الأخرى كالقراءة والكتابة. وعليه فإن مهارة الاستماع تساعد المتعلم على تحصيل الأفكار من جهة، وتزيد في الثروة اللغوية التي يستثمرها الفرد في التعبيرين الشفاهي والكتابي من جهة أخرى.

فالملكة اللغوية الصحيحة أساسها هو السماع والمشاهدة كما يقول ابن خلدون: "واللغات إنما هي ترجمان عما في الضمائر من تلك المعاني، يؤديها بعض إلى بعض بالمشاهدة في المناظرة والتعليم، وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك" (ابن خلدون، 2001، ص 622)، فالسمع والتكرار يمكنان المتعلم من اكتساب الملكة، و"اللغة ملكة في اللسان كما أن الخط صناعة ملكتها في اليد... فإذا كان صاحبها مقصرا في اللغة ودلائلها اللفظية والخطية اعتاص عليه فهم المعاني منها" (ابن خلدون، 2001، ص 623)، وعليه فإن الكتابة إذا لم تخضع لقوانين اللغة قصرت بالنتيجة في تأدية معناها.

فاللغة المكتوبة من أهم المهارات اللغوية التي على التلاميذ الحرص على إتقانها كونها تمثل الشق المرئي من اللغة باستعمال قواعد إملائية ونحوية محددة يقول ويدوسون (Widowson): "إنها استعمال للسند البصري للتعبير عن النظام الخطي والنحوي" (اللغة. 1981 ; P74). وقد بات تعليم اللغة المكتوبة حاليا خاضعا للتوجهات الحديثة لتعليمية اللغات؛ حيث إن أهم ما جاءت به هو المبدأ الذي تبنته المنهجية التبليغية المعرفية، التي تهدف إلى إكساب المتعلم ملكة تبليغية تتعدى مجرد الملكة اللغوية، وتعتبر طبيعة الاكتساب اللغوي غير منحصرة في جملة المعارف النظرية، إنما هي في الحقيقة إظهار القدرة على توظيف هذه المعارف واستعمالها بالكيفية التي تتلاءم وأحوال كلامية محددة، إذ لا تكفي الملكة اللغوية لحدوث التبليغ والتواصل بل يجب أن يضاف إليها الملكة

التبليغية، وهذا يعني أن الإنسان يجب أن يعرف قواعد اللغة ويعرف معها أيضا قواعد استخدامها في المجتمع وفي التعبير عن الوظائف (خرما وحجاج، 1988 ص 187).

ومن هذا المنطلق لم تعد اللغة المكتوبة مجرد وضع لجمل منعزلة، بقدر ما صارت استعمالا لمجموعة من الآليات التي تخضع لأغراض تبليغية معينة في سياقات مختلفة، تسمح للتلميذ بالتعبير عن مختلف الموضوعات ضمن رسالة تبليغية محددة؛ "فالأعمال الكتابية ذات طبيعة خلاقية، حيث تدفع إلى التفكير المتعمق وإعمال الذهن وتوجيهه نحو اكتشاف المعاني والأفكار والعلاقات..." (نصر، المجلد 16، العدد 1، 1996، ص: 226). ويعد التحكم في عملية إنشاء النصوص أو ما يسمى بالتعبير الكتابي خاضعا لمجموعة من الشروط التي تعد أساسية في هذه العملية، وذلك بتوظيف الأدوات المناسبة ومعرفة المستويات المختلفة ويضاف إلى ذلك كله، مهارة أخرى أساسية، وهي المهارة اللسانية المتمثلة في تطبيق القواعد اللغوية والإملائية. فالذي يكتب عليه أن يتحكم في المستويات اللسانية اللازمة لإنتاج نص، لأن التعبير الكتابي نشاط مهم يتم فيه إدماج المعارف اللغوية المختلفة حيث يعد مؤشرا دالا على قدرة المتعلم على تحويل هذه المعارف إلى كفاءات تطبيقية عن طريق توظيفها في وضعيات مختلفة، فالتعبير هو "عمل لغوي يتمثل في القدرة على السيطرة على اللغة كوسيلة للتفكير والتعبير والاتصال" (مدكور، 1991 ص 266)؛ وهذا معناه أن للتعبير الكتابي أهمية بالغة في حياة المتعلم داخل المدرسة وخارجها باعتباره وسيلة لتنمية قدراته التعبيرية التواصلية حيث تنمو مهارة الكتابة وتظهر صورها في التنظيم والتصميم وعرض لمختلف العواطف والأحاسيس ووصف لما يحيط به في بيئته.

لذلك يجب الربط دائما بين ما يُطلب من التلميذ التعبير عنه وواقعه المعيش يقول جزافي ورجز (Xavier Roegiers) في هذا الصدد: "إنّ الوضعية الإدماجية يجب أن تبنى على مشكل له علاقة بالحياة اليومية للمتعلم، يدمج فيها معارف ومهارات ومواقف اكتسبها من خلال الوحدة أو الوحدات التعليمية أو مجال أو عدة مجالات تطرق إليها في القسم ويشترط أن يحدد فيها المعلم الهدف الإدماجي الذي هو أصل الكفاءة الختامية المستهدفة" (Roegiers, 2001, p104)، وهو نفسه الكلام الذي يقوله روبر بيبصون (Robert Besson): "وقد تم التركيز على النشاطات المنفتحة على عصرنا هذا، والتي تدعم التعبير الكتابي لدى التلاميذ عن طريق دوران اللغة داخل القسم حيث حاولنا ربط التعبير الكتابي بمراحل الاكتشاف وتحليل الواقع لذلك تم تسليط الضوء على مواضيع لها علاقة بالصحافة، الإشهار، الصورة والحقائق الاجتماعية والاقتصادية والإنسانية القريبة من واقع التلميذ (Besson ; 1987 p2)؛ حيث يستحسن أن يعطى التلميذ مساحة لاختيار الموضوعات التي يودون التعبير عنها لتحفيزهم على معالجة المواضيع التي تشغل بالهم وتلي حاجاتهم النفسية والاجتماعية؛ ما يؤدي إلى شعورهم بقيمة خياراتهم وأهمية ما يكتبون عنها، كونهم يعبرون عن أحاسيسهم وأفكارهم الشخصية التي تتمحور حول محيطهم وما يواجهونه من مشاكل اجتماعية واقتصادية. لذا ينبغي جعل حصة التعبير الكتابي متنفسا للتلاميذ تشعرهم بأهميتهم كأفراد في المجتمع وتعطيهم الفضاء الذي يخول لهم التعبير بكل حرية.

2- أهداف تعليم التعبير الكتابي:

يقول ابن خلدون: "والكتابة من بين الصنائع أكثر إفادة في زيادة العقل....وبيناه أن في الكتابة انتقالا من الحروف الخطية إلى الكلمات اللفظية في الخيال، ومن الكلمات اللفظية في الخيال إلى المعاني التي في النفس.... فيحصل لها ملكة الانتقال من الأدلة إلى المدلولات" (ابن خلدون، 2001، ص 467)؛ ومعنى هذا أن الكتابة هي السبيل إلى التعبير عما في النفس من معان عن طريق تركيب الألفاظ، والهدف من عملية التعليم خاصة في المراحل الأولى (المرحلة المتوسطة إضافة إلى السنتين الأخيرتين من المرحلة الابتدائية) هو ترسيخ ملكة اللغة، حيث تهدف إلى إكساب التلاميذ آليات الفهم والاستيعاب وكذا اكتشاف السمات التركيبية التي يبني عليها النص، وهذا إعدادا لهم لمرحلة الإنتاج والابتكار التي يحاولون فيها محاكاة النماذج المثالية، عبر إعادة تركيب النظم اللغوية، إذ يعتمد التعبير الكتابي باعتباره من أعلى أشكال التواصل على تطور القدرات والمهارات في جميع جوانب اللغة الأخرى بما في ذلك التكلم والقراءة واستخدام علامات التقييم والاستخدام السليم للمفردات وإتقان القواعد، لذلك يواجه الطلبة صعوبة في التعبير الكتابي باعتباره وسيلة للتواصل؛ حيث يكون المتعلم ملزما بدمج معارفه القبلية في شكل نص أو فقرة.

إذا عدنا إلى تعليم التعبير الكتابي وتعلمه نجد أنفسنا أمام موضوع فني، فبنظرة إلى المناهج التقليدية نجد أن التعبير الكتابي لم يحظ بالاهتمام مقارنة بالتعبير الشفاهي الذي كان يعلم من خلال تلقين المتعلمين نصوصا جاهزة لكبار الأدباء، باعتبار أن لغتهم هي اللغة السليمة الصحيحة التي لا خطأ فيها؛ حيث إن تعليمية المكتوب لم تعرف تطورا إلا في السنوات الأخيرة، وخاصة مع بداية السبعينيات متأثرة بالتوجهات الحديثة لتعليمية اللغات التي ركزت اهتمامها على المتعلم عن طريق تحديد حاجاته اللغوية التي تعد نقطة الانطلاق لتحديد الغايات التعليمية، ومن ثم إكسابه استراتيجيات التعلم وعلى رأسها مهارة التعبير الكتابي.

فالأهم في تعليم التعبير الكتابي لا يكمن في تحقيق نظام اللغة وتطبيق قواعدها فحسب، بل في مهارة استعمال نظام اللغة من أجل تحقيق الغاية منه وهي عملية التبليغ؛ إذ يعتبر هذا النشاط من الأنشطة المركبة التي تحتاج إلى مكتسبات قبلية تتمثل في دراية بالألفاظ والتراكيب والنحو والصرف والإملاء، إضافة إلى تقنيات التعبير وحسن ترتيب الأفكار، فعند كتابة النص يجب مراعاة تنظيم المعلومات وصياغتها بطريقة تسمح للمتلقي بفهمها باعتبار أن عملية الإنتاج الكتابي تستوجب تجميع الأفكار أولا من أجل اختيار نوع النص (وصفي سردي إخباري....) والغاية المبتغاة من ورائه، ومن ثم تتم عملية التعبير وهي عملية البحث عن الكلمات والعبارات المناسبة للمعاني المراد إيصالها وكي يكون التعبير رصينا يجب الالتزام بالقواعد النحوية والصرفية والإملائية كي يسهل على القارئ فهم النص.

فالنص المكتوب هو محاولة لوصف الجانب التواصل في الفرد وهو أكبر دليل على نشاطه الفكري، ويحظى نشاط التعبير الكتابي بأهمية قصوى نظرا لكون الكتابة تحتاج إلى الممارسة المستمرة والدرية الطويلة إضافة إلى معرفة تقنيات كل نمط من الكتابة.

ومن هذا المنطلق تسعى المناهج التربوية إلى إعطاء مختلف طرائق التحرير حسب النمط المدروس اعتماداً على المكتسبات السابقة من جهة، وتوسيعها وإضافة إليها من جهة أخرى؛ فالبرامج الجديدة التي عملت المنظومة التربوية على إنجازها قد اعتمدت في تعليم اللغة العربية مفهوم (المقاربة النصية) الذي يقتضي "تناول النص اللغوي على أساس أنه كل وأنه ذو بعدين أساسيين هما المعنى و المبنى فضلاً عن أبعاد أخرى تتعلق بمؤلف النص وبنيته وهدفه و السياق الزمني الذي ظهر فيه..." (دليل الأستاذ، 2004 م، ص 82)، بالتالي فالنص هو المصدر الأول الذي يعود إليه المعلم في تدريسه لباقي الأنشطة، باعتبار أن أنشطة اللغة هي كل متكامل لا تتجزأ ولا يمكن أن تفصل نشاطاً عن نشاط آخر.

نظراً لتنوع حاجات التلاميذ وتعدد اهتماماتهم واتساع دائرة اتصالهم؛ فإن الأنشطة اللغوية في هذا المستوى، يجب أن تشبع هذه الحاجات و تسير هذه الاهتمامات بتنمية القدرة على الاتصال، عن طريق اختيار مواضيع يتعلم التلميذ من خلالها حقائق علمية ومفاهيم حضارية وأخلاقية ومهارات تعبيرية، فيكتسب الكثير وتنمو بذلك مداركه وتتسع معارفه، ويصبح قادراً على فهم البيئة الاجتماعية والتكيف معها.

3- مراحل اكتساب التعبير الكتابي بين طريقة "تحدث لتكتب" ورأي ابن خلدون :

معلوم أن الغاية من تعليم اللغة هو إكساب المتعلم مهارة التصرف في البنى التركيبية؛ "والتصرف هو العمل في ذوات الكلم والتراكيب، وعلى هذا فالمعرفة العملية للغة تنحصر في إحكام الانتقال من كلمة إلى أخرى ومن صيغة إلى أخرى ومن تركيب إلى آخر بتفرع هذا من ذاك على مثال سابق. ومجموع هذه المثل هي الأصول التي يقتننها المتعلم بكيفية لا شعورية بممارسته المتكررة العملية للخطاب" (الحاج صالح، 2007، ص 186). وهذا الكلام دعا إليه ابن خلدون منذ قرون مضت حيث يقول: "والمملكات اللسانية كلها إنما تكتسب بالصناعة والارتياض.... فاعلم أنها عبارة عن المنوال الذي تنسج فيه التراكيب أو القالب الذي يفرغ فيه.... وترجع إلى صورة ذهنية للتراكيب المنتظمة كلية باعتبار انطباقها على تركيب خاص وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال" (ابن خلدون، 2001، ص 648)، ولا يكون ذلك إلا بالحفظ من كلام اللغة المراد تعلمها، فالمملكة اللغوية تتم على عدة مراحل عند ابن خلدون، تتمثل في الحفظ ثم التكرار والدرية والمران ثم النسج على المنوال ثم إجادة الملكة، يقول ابن خلدون: "وعلى مقدار جودة المحفوظ أو المسموع، تكون جودة الاستعمال من بعده، ثم إجادة الملكة من بعدهما" (ابن خلدون، 2001، ص 656).

والمراحل المذكورة هي نفسها التي قررها باي كوربت (Pie Corbett) في طريقة "تحدث لتكتب، إذ يقول: "لا نغالي إذا قلنا إن أحسن الذين يكتبون في أي قسم هم دائماً قراء؛ لأن القراءة تؤثر حتماً في الكتابة، فالقراءة العميقة والواسعة والغنية تحدد الكاتب الذي يمكن أن نكون عليه" (Talk for writing.com). وهي الفكرة نفسها التي أوردها لورن ستاركي (Lauren Starkey) في كتابه "كيف تكتب مقالات جيدة" (How to write great essays)، حيث يقول: "ما تقرأه يمكن أن يؤثر فيما تكتب،

فعند قراءة نصوص تتميز بالرداءة لا يمكن أن تحسّن مقالاتك، ولكن على العكس من ذلك إذا كثفت قراءة نصوص جيدة، فإنك حتما ستستفيد منها في كتاباتك خاصة ما تعلق بالتركيب والبناء والأسلوب؛ لأن هذه العناصر يمكن أن تتحسن تحت تأثير كتّاب رواد في صناعة الكتابة" (Lauren Starkey, 2004; p6).

والكتابة كما يرى أليستير فاولر (Alastair Fowler) هي: "القدرة العملية التي حالمًا تتقنها تصبح متعة؛ فهي ليست معضلة ولا خطوة مستحيلة" (Alastair Fowler, 2006, p7)، وإنما تحتاج فقط إلى سلوك الخطوات العملية التي تقودك إلى إتقانها، وعلى رأسها تأتي القراءة لأن "الكتابة هي فرع عن القراءة" (Alastair Fowler, 2006, p17)، كما تقول أنيتا بروكنر (Anita Brookner)، فالقراءة والسماع هما وسيلتان أساسيتان لجمع أدوات الكتابة التي هي الأفكار والكلمات.

طريقة "Talk for writing/ تحدث لتكتب": هي منهجية طورها باي كوربت (Pie Corbett) بمساعدة جوليا سترونج تستند إلى مبادئ كيفية تعليم الأطفال عملية الكتابة انطلاقًا من التقليد وصولًا إلى الابتكار والتطبيق المستقل. حققت هذه الطريقة، المعتمدة في الولايات المتحدة الأمريكية نجاحًا كبيرًا على مستوى المؤسسات التعليمية. حيث تقدم مجموعة من المراحل تقارب في شكلها ومضمونها ما دعا إليه ابن خلدون، وفيما يلي عرض لمختلف هذه المراحل مع مقارنتها بما جاء به ابن خلدون:

أ - التقييم الأولي والتخزين (Baseline assessment and storing): هي مرحلة تسبق عملية التعليم وتمثل نقطة الانطلاق والحافز الأول للتلميذ. الهدف منها هو معرفة ما يمكن للتلاميذ القيام به بشكل مستقل وتلقائي في بداية الوحدة بالاعتماد على التعلّمات السابقة. يساعد تقييم كتابات التلاميذ المعلم على تحديد ما يدرسه في القسم إضافة إلى تكييف النص النموذج ليناسب كل التلاميذ. يتم اختيار النص النموذج الملم بأنماط اللغة، وفقا لمستوى التلاميذ واحتياجاتهم الكتابية، ويُستعان بأنشطة كالدراما والحوار لتعميق الفهم وتيسير استيعاب النص، وهنا تنطلق مرحلة التخزين (storing) التي يسميها ابن خلدون "الحفظ"، وعلى قدر المحفوظ وكثرة الاستعمال تكون جودة المقول". فللوصول إلى تشكيل الجملة النموذج (pattern) التي هي المنوال المبني عليه الإنتاجات الكتابية، يتم دائما الانطلاق من حفظ نصوص مختارة وفقا لميولات المتعلمين، فيُعتمد السماع والقراءة في هذه الطريقة مرحلة أولى، إذ يعكف المتعلمون على سماع مقاطع أدبية كالقصص القصيرة أو قراءتها، ثم تكرر شفهيًا عن طريق الاستعانة بالصور لمساعدة المتعلمين على التذكر. وهنا تأتي المرحلة الثانية وهي مرحلة التقليد (Imitation).

ب- مرحلة التقليد (imitation phase): يتم قراءة النص النموذج عدة مرات مع تقديم شروح للمفردات قبل تحليله وإعطاء مجموع الأدوات اللغوية والنحوية وأسلوب الكتابة الذي تم اعتماده فيه حتى يتمكن الطلاب من "التحدث مثل النص"، وهنا يتم اعتماد ما يسمى بخريطة النص (text map)، وهي تقنية تستخدم مخططات وأقلاما ملونة وتقنيات رسم الخرائط على النص مع التركيز على القراءة المسبقة وتنظيم النص. ومن فوائدها أنها تضيف عنصراً مرئياً وتخلق نموذجاً ملموساً للأفكار المجردة حيث تساعد التلاميذ على التعرف على الإشارات المطبعية والنصية وكيفية

استخدامها وبالتالي تشجع القراءة النشطة إذ يتحرك التلاميذ جسدياً كلما تم وضع علامة على النص مما يمكن التلاميذ من رؤية التقدم المحرز في المهمة بوضوح من خلال النظر في المخططات المنجزة، وبذلك يتم تعلم القراءة الإستراتيجية ومن ثم إنشاء نموذج للكتابة.

وهذه المرحلة يسميها ابن خلدون "الدربة والمران"، يقول في ذلك: "والملاكات لا تحصل إلا بتكرار الأفعال" (ابن خلدون، ص632)، ويقول أيضاً: "وممارسة البحث بالعلوم لتحصيل ملكتها بطول المران على ذلك" (ابن خلدون ص 622). وبعد عملية التقليد تأتي مرحلة التجديد (Innovation).

ج- مرحلة التجديد (innovation phase): بمجرد أن يألف التلاميذ النص النموذجي يقودهم المعلم إلى إنشاء نسخهم الخاصة عن طريق تقديم موضوع جديد. بالنسبة للتلاميذ الأصغر سناً فإنه يتم تغيير الخريطة الأساسية للنص ومطالباتهم بتقديم رواية جديدة، بينما يستخدم التلاميذ الأكبر سناً مخططات جديدة. ويوضح المعلم كيفية إنشاء خطط بسيطة وتطوير أفكار شفوية قبل الكتابة. قد يحتاجون إلى إنشاء أفكار وتنظيمها أو البحث في المعلومات وإضافتها إلى المخطط. ثم تُستخدم الكتابة المشتركة والموجهة في مرحلة الكتابة على مدار عدة أيام حتى يتمكن التلاميذ من كتابة النصوص شيئاً فشيئاً، مع التركيز على الجمع بين جميع العناصر، والكتابة بفعالية ودقة.

والملاحظ في هذه المرحلة أن عملية تفاعل التلاميذ مع النص يؤدي إلى تضمين الأنماط اللغوية في أذهانهم أو ما يسمى بالمثل، إضافة إلى اكتسابهم للخصائص المميزة للنصوص المدروسة: حيث يتعلمون كيفية إنشاء نصوص عن طريق ما تم تضمينه من أنماط بالاعتماد على البنى الأساسية لتلك النصوص كمرحلة تسبق المرحلة النهائية، وهذا ما ذكره ابن خلدون حيث يقول: "وتلك الصورة ينتزعها الذهن من أعيان التراكيب ويصيرها في الخيال كالقالب أو المنوال" (ابن خلدون، 2001، ص 648)، ويقول أيضاً: "الحفظ من جنسه.... حتى تنشأ في النفس ملكة ينسج على منوالها" (ابن خلدون، 2001، ص 651)، وبعد هذه المرحلة تأتي المرحلة النهائية وهي مرحلة الإبداع (Invention).

د- مرحلة الإبداع (invention phase): من البديهي أن هذه المرحلة هي مرحلة الابتكار؛ حيث تصبح الكتابة مستقلة بشكل متزايد عن النموذج الأصلي بدلاً من أن تكون نسخة باهتة عنه، فيمرور الوقت، يتم الانتقال بطريقة متدرجة إلى إنتاج نصوص من إبداع المتعلمين، مستقلين بذلك عما تم أخذه في السابق. وهذا أيضاً أشار إليه ابن خلدون في قوله: "وبعد الامتلاء من الحفظ وشحن القريحة للنسج على المنوال، يقبل على النظم" (ابن خلدون، 2001، ص 652)، ويرى أن من شروطه أن يتم نسيان ما تم حفظه كي لا يقع الشخص في السرقة الأدبية، يقول ابن خلدون: "ومن شرطه نسيان ذلك المحفوظ لتمحى رسومه الحرفية الظاهرة؛ إذ هي صادرة عن استعمالها بعينها. فإذا نسيها وقد تكيفت النفس بها انتقش الأسلوب فيها كأنه منوال يأخذ بالنسج عليه بأمثالها من كلمات أخرى" (ابن خلدون، 2001، ص 652). وهنا تجدر الإشارة إلى أن جودة النصوص النموذجية أمر حاسم للتقدم؛ فيجب أن تكون النماذج قصيرة، توفر أمثلة ممتازة عن الميزات اللغوية التي يتم التركيز عليها في النصوص المدروسة، كما يجب أن تتدرج في الصعوبة كلما تم التقدم في الدراسة.

مع الأطفال الأصغر سنًا، ستستغرق مرحلة التقليد وقتًا أطول، حيث يحتاج الأطفال إلى إنشاء أنماط لغوية تدعم تعلمهم؛ هذا حتى يتمكنوا من الاستقلالية بشكل متدرج ومن ثم كتابة نسخهم الخاصة بطريقة مبتكرة، ومع تقدمهم في السن يمكن استخدام طرق أكثر تطوراً لتقليد النص مع استخدام مجموعة أكبر من النماذج، وسيكون هناك تركيز أكبر على ضمان أن تساعد مرحلة التجديد التلاميذ على الابتعاد عن النموذج الأولي، حيث يصبحون أكثر فأكثر استقلالية في عملية الكتابة.

وكما لا يمكن القول بأن أي طالب يكون قارئاً فعلياً حتى يتخذ خياراته الخاصة بشأن ما يحب قراءته والبدء في تطوير ذوقه في القراءة، فإن التلاميذ ليسوا كتاباً حقاً حتى يقرروا ما يريدون كتابته ولديهم فرصة لإنشاء كتاباتهم الخاصة عن اهتماماتهم وميولاتهم. وهنا قد يوفر المعلمون حافزاً مثل مقطع فيلم أو عنصر مثير للاهتمام أو دراما أو كتاب مصور من دون كلمات أو عمل فني أو موسيقى، ولكن التلاميذ هم الذين يقررون ماذا يكتبون وكيفية الكتابة.

وفيما يلي جدول يوضح مقارنة بين الطريقتين:

طريقة "تحدث لتكتب" (Talk for writing)	رأي ابن خلدون	
القاعدة الأساسية	الاعتماد على القراءة والسمع reading and hearing	السماع (إذ القراءة لم تكن متداولة مثلما هو الشأن في وقتنا الراهن)
المرحلة الأولى	مرحلة التخزين (storing)	مرحلة الحفظ
المرحلة الثانية	مرحلة التقليد (Imitation)	مرحلة التكرار والدربة والمران
المرحلة الثالثة	مرحلة التجديد (Innovation)	مرحلة النسخ على المنوال
المرحلة الرابعة	مرحلة الإبداع (Invention)	مرحلة النظم بفضل إجادة الملكة

بعقد مقارنة بين الطريقتين: نلاحظ ما يلي:

- اعتماد كل من طريقة "تحدث لتكتب" وابن خلدون على السماع كونه أسهل السبل لتكوين التلاميذ من خلال حثهم على القراءة أولاً، والحفظ ثانياً للوصول إلى القدرة على إنتاج نصوص في مستوى ما يقرؤون ويحفظون. فالسمع هو وسيلة ملء، وعلى قدر جودة مدخلات الماء تكون جودة المخرجات.
- يمثل الحفظ القاعدة الأساسية في كلتا الطريقتين؛ لأن الحفظ يساعد التلاميذ على تمثّل البنى اللغوية وترسيخ المثل في أذهانهم، ومن ثم استعادتها في شكل نماذج كتابية من إبداع التلاميذ.
- يعد اكتساب الملكة ثمرة كلتا الطريقتين لأنها تأتي بالدربة والمران المستمرين.

خاتمة:

بعد هذا عرض منهجية تعليم التعبير الكتابي ومراحل اكتسابه، يجدر التنويه في الأخير إلى أن الهدف من عقد هذه المقارنة هو إبراز فاعلية هذه المراحل، وضرورة الالتزام بها في عملية تعليم التعبير الكتابي، والتأكيد على أن التراث العربي يزخر بذاخثر ثمينه من الدراسات التي يجدر بنا الاستئارة بها في بحوثنا الراهنة.

- تعد الكتابة شكلاً مهماً من أشكال التواصل، وجزءاً أساسياً من التعليم، ولكن في عالم اليوم الذي تحركه التكنولوجيا، لا يُمنح التلاميذ العديد من الفرص للممارسة وتحسين قدرتهم على الكتابة، لذا

جاءت طريقة "تحدث لتكتب" لخلق كُتّاب قادرين على تجاوز هذا العجز الذي يسود أوساط المتدربين عن الاستقلال بكتابات ذات جودة وفاعلية.

- قد يستغرق تطوير مهارات كتابية بعض الوقت، ولكن هناك العديد من الأشياء التي يمكن الاستعانة بها لتحسين هذه المهارة وعلى رأسها القراءة المنتظمة التي هي نقطة انطلاق لتحسين الكتابة، وتساعد التلاميذ على تعزيز مهاراتهم في الكتابة. كما تعمل على توسيع معجم مفرداتهم، وتكشف عن مختلف السياقات التي تظهر فيها الكلمة مما يسهل عليهم استخدام هذه الكلمات في كتاباتهم.

- يعد انتقاء النصوص المعاصرة والمشوقة التي لها صلة بحياة التلميذ عنصرا أساسيا لتحفيزه على القراءة، كما تقدم له زادا فكريا في حياته العامة، وتعرفه على المشكلات التي يتعايش معها على مختلف الأصعدة: الفكرية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

- من بين الطرائق التي تساعد التلاميذ على تحسين كتاباتهم إدخال بعض النصوص العالمية (الأدب العالمي) في الكتب المقررة وصياغتها بصورة تتناسب وسنهم، كما ينبغي أن تكون النصوص الموجهة لهم متنوعة وحسيفة ليكون منطلق التلميذ خصوصا جيدة يستطيع بقراءتها تكوين ملكة لغوية جيدة؛ فقراءة نصوص جيدة تؤدي إلى كتابة نصوص جيدة.

- ربط اهتمامات التلاميذ بعملية الكتابة يجعلهم يكتبون قصصا قصيرة عن شخصياتهم أو موضوعاتهم المفضلة، وهذه الطريقة من الطرائق الممتعة لتحسين مهارات الكتابة الإبداعية لدى التلاميذ.

قائمة المصادر والمراجع:

أ- العربية:

- بدر الدين بن تريدي ورشيد آيت عبد السلام، دليل الأستاذ، دليل بيداغوجي خاص بكتاب التلميذ السنة الثانية من التعليم المتوسط، المراجعة اللغوية: ساعد العلوي، وزارة التربية الوطنية، 2004 م.
- حمدان علي نصر، أثر استخدام نشاطات كتابية وكلامية مصاحبة على تنمية بعض مهارات القراءة الناقدة، دراسة تجريبية، المجلة العربية للبحوث التربوية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، المجلد 16، العدد 1، 1996 .

- عبد الرحمن الحاج صالح: الأسس العلمية واللغوية لبناء مناهج اللغة العربية في التعليم ما قبل الجامعي، بحوث ودراسات في علوم اللسان، منشورات المجمع الجزائري للغة العربية الجزائر 2007 ج1.

عبد الفتاح حسن البجة: أصول تدريس العربية بين النظرية والممارسة (المرحلة الأساسية العليا)، دار الفكر، عمان، 1999.

- علي أحمد مذكور: تدريس فنون اللغة العربية دار الشواف، القاهرة 1991.

- اللقاني أحمد حسين وعلي الجمل: معجم المصطلحات التربوية المعرفة في المناهج وطرق التدريس، عالم الكتب، القاهرة، 1999 .

- محمود أحمد السيد، تطوير مناهج تعليم القواعد النحوية وأساليب التعبير في مراحل التعليم العام في الوطن العربي.
 - نايف خرما وعلى حجاج: اللغات الأجنبية تعليمها وتعلمها، سلسلة عالم المعرفة، مطابع الرسالة، الكويت 1988 ص 187.
 ب- الأجنبية:

- Alastair Fowler, How to write, OXFORD, New York 2006.
- Lauren Starkey, How to write great essays , Learning Express, New York, 2004.
- Pie Corbett, Talk for writing, www.Talk for writing.com.
- Robert Besson , Guide pratique de la communication écrite, Edition Casteilla Paris 1987.
- Widowson ,HG une approche communicative de l'enseignement des langues Hatier Paris 1981.
- Xavier Roegiers Une pédagogie de l'intégration, Compétences et intégration des acquis dans l'enseignement, Bruxelles, De Boeck, 2001 2e édition.